التوسع الروسي في دول البلطيق (1492–1917م)

Russian Expansion into the Baltic States (1492–1917)

م.د. رائد محمد لزم

Dr .Ra'id Mohammed lezim

raedhistory@gmail.com

وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة

Open Educational College

فرع القرنة/ قسم التأريخ

Qurna branch/History Department

كلمات مفتاحية: (روسيا، التوسع الروسي، دول البلطيق)

Keywords: (Russia, Russian Expansionand the, Baltic States)

الملخص:

تعد دراسة الامتيازات الروسية في دول بحر البلطيق من الموضوعات الحيوية التي يجب تسليط الضوء عليها ومعرفة خفاياها، بعد أن تخلصت من حكم المغول الذي استمر لمدة قرنين ونصف القرن تقريباً فأرادت الخروج من عزلتها والاتصال في بأوربا من خلال أيجاد منفذ لها على البحر، فضلاً العامل الديني الذي لعب دوراً في توجه أنظار روسيا إلى دول بحر البلطيق لا سيما بعد زيادة خطر هذه الدول في نشر المذهب الكاثوليكي على حساب المذهب الارثوذكسي المسيحي .

وقلة المصادر التي كتبت حول هذا الموضوع تجعل منه موضوعاً صعباً، ألا أن الباحث استطاع أن يعثر على بعضها، ومنها كتاب (المهداوي، علي هادي عباس، التطورات السياسية في روسيا القيصرية 862-1917م) . تضمن البحث: اولاً- التوسع الروسي ما بين عامي (1492-1688م)، ثانياً- التوسع الروسي ما بين عامي (1689-1904م)، ثالثاً- ردود الفعل في دول البلطيق بعد ثورة عام 1905م .

Abstract:

The study of Russian expansion into the Baltic states represents a significant field of historical inquiry, as it sheds light on the political, strategic, and religious motivations that shaped Russian foreign policy. Following its liberation from nearly two and a half centuries of Mongol domination, Russia sought to overcome its geopolitical isolation by securing access to the Baltic Sea, thereby establishing direct political, economic, and commercial links with Europe. Alongside these geopolitical objectives, religious considerations also played a crucial role in directing Russian attention toward the Baltic region, particularly in response to the growing influence of Catholicism, which was perceived as a challenge to the predominance of Eastern Orthodox Christianity.

The limited availability of scholarly sources on this topic presents a considerable challenge. Nevertheless, the researcher was able to consult a number of valuable references, including Political Developments in Tsarist Russia (862–1917) by Ali Hadi Abbas Al-Mahdawi.

This paper is organized into three main sections. The first examines Russian expansion during the period 1492–1688. The second analyzes the expansionist policies pursued between 1689 and 1904. The third explores the reactions of the Baltic states in the aftermath of the 1905 Russian Revolution.

المقدمة:

يقع بحر البلطيق (الدول البلطية) وسط الحوض الاسكندنافي وهو بحر تابع للمحيط الاطلسي يبلغ طوله (400) الف كم^2، ويقع بين دول السويد شمالاً، وروسيا وليتوانيا، ولاتافيا، واستونيا شرقاً، وبولندا والمانيا جنوباً والدنمارك غرباً، ويتصل بحر البلطيق مع بحر الشمال بعدة مضايق بقناة كييل ويتصل بالبحر المتوسط بقناة البلطيق ويتصل بنهر الفولغا بقناة الفولغا – البلطيق، والتسمية تأتي استناداً إلى موقعها على ذلك البحر، كما تقع عليه مجموعة من الموانئ، لذا يعد بحر البلطيق بالغ الاهمية في مجال التجارة والملاحة الدولية (عبد علي، د.ت، ص207) .

أما دول بحر البلطيق هي استونيا، ولاتفيا، وليتوانيا، تقع الأولى على الشاطئ الشرقي من بحر البلطيق، ولها حدود مشتركة مع روسيا لجهة الشرق، والثانية وتقع على شاطئ البلطيق من الغرب، وروسيا من الشمال، وفيما يخص الثالثة تقع على بحر البلطيق من الغرب وروسيا البيضاء من الشرق(عبد علي، د.ت،211،209) .

وقبل أن تتمدّد موسكو نحو البلطيق، كانت الأراضي الليفونية التي تشمل (إستونيا، ولاتفيا)، تقع في قبضة نظام ليفونيا الكاثوليكي، وهو امتداد لفرسان التيوتون، فضلاً عن عدد من الأسقفيات ذات الحكم الذاتي، كريغا وروفال (تالين) وداربت (تارتو)، أما ليتوانيا فكانت جزءاً من الكومنولث البولندي–الليتواني، الذي اتّسع نفوذه حتى أرجاء واسعة من أوروبا الشرقية(Berends, 2007,53,70) .

لقد كانت أهمية المنطقة لموسكو مرتبطة بالحاجة الاستراتيجية إلى منفذ بحري، فبحر البلطيق كان الطريق الرئيسي للتجارة مع أوروبا الغربية، وهو ما جعل التحكّم في مدنه الساحلية يعادل السيطرة على الشرايين الاقتصادية لشرق أوروبا (Crummey,1987,121,134) .

كانت السويد تهيمن على شواطئ بحر البلطيق، في حين أن بولندا تقف ضد التوسع الروسي تجاه الغرب، وأرادت السويد منع روسيا من الاتصال بالحضارة الاوربية حتى لا تتطور وتصبح من الدول المتقدمة، تضمن سيطرتها على القسم الجنوبي من بحر البلطيق، أما روسيا فلم تملك أي طريق يربطها في أوربا سوى ميناء أركانجل وهذا الاخير يقع على المحيط المنجمد الشمالي ويكون دائماً مغلق في اغلب

الأوقات ولا سيما في فصل الشتاء لتجمد مياهه، الامر الذي دفع الروس إلى السعي من أجل الوصول إلى المياه الدافئة (المقرحي، 1996،225) .

في عام 1478م، ضمّت موسكو مدينة نوفغورود ذات السيادة العريقة، وبات الروس يرثون بذلك شبكة علاقات تجارية مع مدن البلطيق التي سبق أن أقامتها نوفغورود، ففي نارفا على الحدود الإستونية، كان التجار الروس والليفونيون يتبادلون البضائع بصورة منتظمة (Crummey,1987,121,134) .

اولاً- التوسع الروسي ما بين عامي (1492-1688م):

بعد أن تخلص الروس من سيطرة المغول توجه القيصر الروسي ايفان الثالث (Ivan III) (1462–1505م)، نحو دول بحر البلطيق للحد من تجاوزاتها، في عام 1492م قرر مهاجمة ليتوانيا بهدف القضاء على محاولاتها الهادفة إلى نشر المذهب الكاثوليكي في الاقسام الشمالية الغربية من البلاد الروسية، واستطاع دخولها دون قتال ونتج عنها وهروب أميرها الكسندر إلى مقاطعة (فدروشا) طالباً تدخل البابا الاسكندر السادس(Alexander VI)، ونجح الاخير في اقناع الروس بالتوقيع على هدنة لمدة ستة سنوات مقابل احتفاظ روسيا بالمناطق التي استولت عليها إلى الغرب من نهر سوز بما في ذلك اقليم شرينجوف وصولاً إلى سمولسنك، وفي هذا الوقت استغل فرسان الليفونية، حالة الحرب بين موسكو وليتوانيا وتوغلوا في الأراضي الروسية لكن القيصر الروسي أيفان الثالث تصدى لهم بقوة واجبرهم على الانسحاب ودفع الجزية (المهداوي،2018، 42،43) .

وكان القيصر إيفان الثالث (الكبير) قد أرسى قاعدة جديدة لعلاقة روسيا بالغرب، حين طرد التجار الهانزيين من نوفغورود عام 1494م، وأسّس ميناء إيفانغورود مقابل نارفا الليفونية. وهذا التحوّل يُشير بوضوح إلى أن الروس قرّروا الانتقال من شركاء التجارة إلى السيطرة على البنية التحتية للتبادل التجاري في المنطقة (Davies, 1997,662,680) .

استمر هذا الحال في عهد القيصر فاسيلي الثالث (Vasily III) (1505–1533م)، حيث أتجه لممارسة سياسة أيفان الثالث في استرجاع الأراضي الروسية من ليتوانيا حيث استرجعت سمولسنك في عام 1514م (م.م، د.ت،58) .

أما في عهد القيصر أيفان الرابع (1533–1584م)(Ivan IV)، فقد كانت سياسته الخارجية تهدف إلى ربط روسيا في بحر البلطيق، والحصول على منفذ بحري لتامين التجارة مع أوربا، ووجد القيصر لمشروعه مؤيدين من بعض فئات المجتمع الروسي خصوصاً وأن الأوضاع في منتصف القرن السادس عشر كانت في صالح خطط القيصر، فكانت ليفونيا تعاني من النزاعات الاقطاعية وتسيطر على الجزء الشرقي من بحر البلطيق، وأصبحت بعد نصف قرن اكثر ضعفاً، إذ تقاسم فرسانها، ورجال الدين الالمان

الأقاليم فيما بينهم وقد استغل الليتوانيون والاستونيون من سكان لفونيا، وما كان أمام السكان بالاّ الاستنجاد بروسيا لتحريرهم من الاقطاعين الالمان(الصياد،177،2014) .

كما اتسمت سياسه القيصر ايفان الرابع بالعداء الشديد للبولنديين ويرجع ذلك؛ لان بولندا كاثوليكية ومعادية لروسيا السلافية الارثوذكسية، كذلك لاتحاد بولندا مع لتوانيا عام 1569م الامر الذي أدى إلى توتر العلاقات بينهم، يضاف إلى ذلك عرقلة بولندا الاتصال المباشر مع أوربا ناهيك عن اطماع بولندا في روسيا وطموحها بالسيطرة عليها(الصياد،174،2014) .

اهتم القيصر بإصلاح المؤسسة العسكرية من أجل إيقاف التهديدات من دول الجوار والحصول على منفذ بحري يربطها بالعالم الخارجي(المهداوي،55،2018)، نظراً لعدم امتلاك روسيا منفذاً على بحر البلطيق باستثناء منفذ صغير اسمه (نيفا)، وسعت جميع الدول الليفونية إلى قطع الطريق أمام اية محاولة روسية لبلوغ بحر البلطيق، لذا دخل القيصر أيفان الرابع في مفاوضات مع الليفونيين من أجل الوصول إلى التفاهم معهم بهدف الاتصال بالغرب، ألا أن المفاوضات فشلت، بسبب اصرار الوفد الليفوني على الشرط الخاص الذي فرضته روسيا بدفع الجزية، مّما دفع القيصر إلى استخدام القوة ضدهم عام 1557م، حسب خطة تتضمن عدم الدخول إلى المدن الكبيرة تجنباً لحرب العصابات، واستمالة السكان الناقمين بسبب سوء اوضاعهم المعيشية لاسيما وإن اعداداً كبيرة منهم ينحدرون من اصول روسية، واحرز الروس تقدماً في تلك الحرب وأخضعوا نحو (20) مدينة إلى سيطرتهم واستولوا على يوريف وهي مدينة محصنة تضم خمسون مدفعاً وتم الحاق الأراضي بالدولة الروسية، وأمر القيصر بإجراءات إدارية وتجارية في تلك المناطق مع أعفاء التجار الروس من جميع الضرائب، وفي الوقت نفسه اثار هذا الانتصار حفيظة عدد من الدول الاوربية مثل السويد، وليتوانيا، وبولندا على باعتبار أنَّ وصول الروس إلى تلك الأراضي هدّد مصالحها، فاتجهت إلى تفتيت الاتحاد الليفوني بالقيام باحتلال أجزاء منها، ثم هاجمت روسيا، لكن الاخيرة تصدت للهجمات واستولت عام 1563م على مدينة عن مدينة يولسنك الاستراتيجية، كما قام القيصر إيفان الرابع بعقد معاهدة مع السويد(المهداوي،61،2018، 62) .

في عام 1579م تخلى ملك السويد عن المعاهدة واتفق مع ملك بولندا لطرد القوات الروسية المرابطة في الأراضي الليفونية وشرعت قوات البلدين بالهجوم تحت قيادة الملك البولندي ستيفن

(Stephen)، على مدينة سيكوف ألا أنَّ الروس ابدوا مقاومة شديدة، لكن القيصر الروسي وتجنباً للخسارة طلب من البابا التدخل لوقف القتال وتكللت الجهود بالنجاح وتوقيع هدنة لمدة (10)سنوات بشرط قيام روسيا بسحب قواتها من الأراضي الليفونية مع ضمان احتفاظ روسيا بالأراضي الواقعة على طول الحدود الليتوانية، ألا أن هذه الهدنة لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما هاجمت القوات البولندية والسويدية واجتازت الحدود الروسية عام 1582م، ثم وصلت زحفاً إلى العاصمة موسكو، وتصدت لهم القوات الروسية وافشلت الهجوم حينما باغتوهم بتفجير مخابئ العتاد المدفونة تحت الاسوار وعلى أثر ذلك تكبد المهاجمين خسائر بلغت نحو (1700) بين قتيل وجريح، واثارت الليفونية والتي استمرت نحو (25) عاماً، وتفاقم المشكلات السياسة والاقتصادية والاجتماعية في روسيا، ورغبة الروس عام 1582م إلى أنهاء الصراع وشرعوا بالتفاوض مع البولنديين والسويديين لعقد الصلح، وتعهدت روسيا بموجب هذا الصلح بالانسحاب من جميع الأراضي البولندية مقابل تخلي بولندا عن الأراضي الروسية التي احتلتها خلال الحرب، كما تنازلت عن المنفذ البحري الصغير والوحيد الذي يربطها ببحر البلطيق إلى السويد(المهداوي، 2018، 64،65) .

وفي عهد القيصر فيدور الأول (Theodore I)(1584–1598م)، شن حرباً على السويد بين عامي(1590–1593م) انتهت بصلح تيافزيا عام 1595م، واسترجعت روسيا بموجبه جزءاً من ممتلكاتها الواقعة على سواحل بحر البلطيق، وجرى تعزيز المركز الاقتصادي، والاستراتيجي في غرب البلاد سمولينك وشيدت بهذه الاخيرة قلعة، كما عقدت عام 1600م هدنة مع بولونيا تلزم الطرفين بأن لا يشن أحدهما الحرب على الآخر خلال فترة معينة من الاتفاق(م.م، د.ت،73،74) .

أما في عهد القيصر الكسس ميخائيل (Alexis Mikhail) (1645–1676م)، حاولت بولندا استغلال حالة الفوضى والاضطرابات التي شهدتها روسيا فأقدمت بالتعاون مع ليتوانيا على احتلال الاقاليم الغربية ومنها اوكرانيا وغاليسيا، وفي الوقت نفسه شرع البولنديون إلى تنفيذ مخطط كان يهدف إلى كثلكة سكان هذه الاقاليم عن طريق تقديم الدعم للأباء اليسوعيين، وانشاء المدارس الدينية، أرادت روسيا نتيجة– ظروفها – التريث في موجهة القوات المهاجمة لها، لكنهم انتهجوا سياسة دعم فصائل المقاومة المسلحة والتصدي لعمل المبشرين الكاثوليك وذلك بترسيخ مبادئ الارثوذكسية لدى سكان تلك المناطق، وبعد هزيمة البولنديين وتوقيع معاهدة مذلة، عادت المعارك من جديد الامر الذي دفع الاوكرانيين إلى الدخول تحت سيادة

روسيا عام 1654م وعرف باتفاق بيرياسلاف والذي تضمن حصول موافقة – القيصر ومجلس الدوما الروسي، على ضم اوكرانيا إلى دولة روسيا، وتمتع اوكرانيا بحكم ذاتي، واحتفاظها بجيش قوامه نحو (6000) جندي، وبعد هجوم السويد عام 1655م على بولندا واحتلال بعض المدن المهمة، ولم يكتفي القيصر بذلك وتحرك إلى اغتنام الفرصة وإعلان الحرب ضد بولندا حيث تمكن الجيش الروسي من استعادة سمولسنك، والاندفاع داخل الأراضي البولندية (فيلينا، وكوفونو، ولويلين)، وقد استمرت حالة الحرب المتقطعة بين الدولتين حتى عام 1667م، والتي انتهت بالتوقيع على معاهدة (اندرسوفو) وفقاً للشروط الاتية: (اعتراف بولندا بتبعية سمولسنك إلى روسيا، تخلي بولندا عن اطماعها في كييف، تقسيم اوكرانيا إلى قسمين الأول إلى بولندا والثاني تحت زعامة موسكو، مدة المعاهدة 13عام)(المهداوي،94،93،2018) .

ظلّت روسيا طوال هذه الحقبة محاصرةً بين قوتين: السويد في الشمال الغربي، وبولندا–ليتوانيا في الغرب، وعاجزةً عن اختراق جدار هاتين القوتين نحو البحر، وكان الطموح الروسي البلطيقي يتراكم تحت السطح، بانتظار فرصة تاريخية موائمة (Aersons, E,1967,15,30) .

ثانياً- التوسع الروسي ما بين عامي (1669-1904م):

تولى القيصر الروسي بطرس الاكبر (Peter The Great)(1689 – 1725م)، عرش روسيا وقرر القيام برحلة إلى أوربا عام 1697م ، لاطلاعه على التطورات في تلك الدول من أجل النهوض ببلاده، انطلقت الرحلة من مدينة نوفغورد بتجاه الدول البلطيقية ليتوانيا، واستونيا، ولاتافيا، ثم غادرها إلى باقي الدول الاوربية، وكان لزيارته اغراض منها فتح باب الاستثمار في روسيا ونقل التطور الأوربي في مختلف المجالات(المهداوي، 108،107،2018) .

ويرى القيصر الروسي أن بحر البلطيق، وبحر الأسود هما الطريقان المؤديان إلى الغرب وإلى المياه الدافئة، ولما كان الأول بحيرة سويدية، والثاني بحيرة عثمانية فما كان عليه إلا أن يعلن الحرب على الدولتين، وهذا مستحيل؛ نظرا لان الاخيرة كانت لا تزال قوية، لذلك فضل الاتجاه ضد السويد(صالح، 1981، 416) .

أدت رغبة قيصر روسيا في الحصول على منفذ بحري يصل روسيا بأوربا الغربية لتحويلها إلى دولة أوربية متطورة، وكان بحر البلطيق بحيرة سويدية وسمي(المتوسط السويدي)، فكان لابد على القيصر اختزال الاقاليم السويدية ليضمن الوصول إلى نافذة على البحر، وعندما جاءت الاحداث الداخلية في السويد مناسبة لما كان يتطلع اليه القيصر بطرس الاكبر، حيث كان الصراع بين الطبقة الارستقراطية والبلاط الملكي، بعد أن أعلن شارل الحادي عشر(Chares XI) الحكم المطلق عام 1680م، وفرض على الاشراف أن يردوا إلى العرش كل الأملاك المستغلة من قبلهم منذ عام 1609م، وثارت الطبقة الأولى ضده خاصة اشراف لاتفيا، كما ان السويد كانت دولة منهوكة القوى نتيجة الحروب الطويلة التي خاضها الملك السويدي غوستاف أدولف (Gustav Adoiphe) ومن جاء من بعده (الشمري،2006، 144)؛(شعيب،40،1992) .

وافق القيصر على مخطط باسكولد(Bascold)، الذي يدعو إلى مهاجمة الدول المجاورة للسويد والبلطيق في وقت واحد، بدأ الاستعداد للحرب، بعد أن انتهت مفاوضات رادا–موسكو عام 1699م بتشكيل تحالف يتكون مـــن روسيا– بولندا–الدنمارك ضد السويد لا سيــما وأن الاحداث فــي بـــحر البلطيق مهيأة لإعلان الحرب(الشمري، 2006، 144،146)؛(أبو علية،1981، 213) .

لقد أفاد بطرس الأكبر من انشغال شارل ببولندا وسكسونيا لاعادة تنظيم جيشه وكان يرغب بالتفاهم ويكتفي بالساحل الشرقي وميناء على البحر، وتقدم نحو ساحل بحر البطيق وبنى القيصر مدينة بتروكراد عام 1703م، وتجنب الاصطدام مع السويد لكن شارل لم يرغب في المصالحة مع روسيا، وتقدم بجيشه نحو العاصمة الروسية موسكو عام 1707، وقد تراجع الروس واثر فصل الشتاء وقلة الذخائر، والمواد الغذائية على الجيش السويدي، وبعد ثلاث سنوات حدثت معركة بولتافا وحقق فيها الجيش الروسي الانتصار (صالح،430،429،1981) .

واستمرت الحرب بين روسيا والسويد من عام 1700 إلى عام 1721م وفيه تم عقد صلح في مدينة نيشتاد الذي احتفظت بموجبه روسيا على كل الأراضي التي احتلتها وهي: ليفلاند، واستلاند، كاريليا، كما حصلت على ميناء يطل على بحر البلطيق، وبذلك حقق الروس ما كانوا يطمحون اليه في الوصول إلى هدفهم في الوصول إلى المياه الدافئة (مراد، ،87،1988)؛(المقرحي،240،1996).

بعد الغزو، قسّم بطرس الأكبر المنطقة إلى مقاطعات إدارية: مقاطعة إستلاند (إستونيا الشمالية) ومقاطعة ليفلاند (ليفونيا الجنوبية) ومقاطعة كورلاند التي ظلّت تحت الحكم البولندي الليتواني بصورة غير رسمية حتى عام 1795م، وقد اعتمد بطرس في الحكم على النخب المحلية، مدركاً أنه يحتاج إلى الكفاءات الإدارية الألمانية البلطيقية لتسيير إمبراطوريته الناشئة(https://www.apgads) .

وكان وراء نجاح الروس في خطتهم والتغلب على السويد عدة عوامل منها: الإجراءات التكتيكية التي اعتمدها مجلس الحرب الروسي في الانسحاب من مواقعهم ودفع القوات السويدية إلى التوغل في داخل الأراضي الروسية ولجوء الروس إلى أسلوب الكمائن وتشكيلهم لفصائل المقاومة الشعبية وقيام الفلاحين الروس بإخفاء المؤن لمنع الجيش السويدي الاستفادة منها(المهداوي، 110،2018) .

وفي عهد القيصر كاترين الثانية (Catherine II) (1762–1796م)، ويُلاحظ الدارسون أن عهد كاترين شهد تحوّلاً في السياسة الثقافية؛ إذ بدأت التقارير والكتابات الروسية تُصوّر المقاطعات البلطيقية بوصفها مناطق "أوروبية" مثيرة للاهتمام والفضول. وكان هذا التقارب الثقافي يعكس بدوره الحاجة الروسية إلى الاستفادة من الكفاءة الأوروبية–البلطيقية لتحديث الدولة (Hellie,1971,85,103) .

قسمت بولندا خلال سنوات (1772–1795م) بين روسيا وبروسيا والنمسا، واختفت بولندا نهائياً من خريطة أوربا(المقرحي،241،1996) .

كما اقتطعت قسماً كبيراً من ليتوانيا، وبهذا أنضم الى شعوب روسيا عناصر جديدة من شعوب آخرى في القسم الغربي من حدودها(برايس،64،1961) .

يضاف إلى ذلك تخلي ليتوانيا عن أرض سمولسنك لروسيا، لكن فيما بعد توالت الانتفاضات ضد الروس مّما اضطرهم إلى ممارسة سياسة قمعية ضد ليتوانيا(عبد علي، د.ت،211) .

خلال الحروب النابليونية، أصبحت المقاطعات البلطيقية أكثر أهمية استراتيجية لروسيا، كونها تُشكّل عمقاً دفاعياً تجاه أوروبا. وعلى الرغم من تهديد نابليون لموسكو عام 1812م، ظلّت المنطقة البلطيقية تحت السيطرة الروسية الراسخة، وبعد انتهاء الحروب، أصبحت روسيا القوة الأعظم في أوروبا، وباتت المقاطعات البلطيقية جزءاً لا ينفصل من الإمبراطورية الروسية(Hellie,1971,85,103) .

أما في عهد القيصر نيقولا الأول (1825–1855م)(Nicholas I)، مضى في نهجه التوسيعي وشهدت بولندا في 1830م اندلاع ثورة مسلحة ضد الروس قادها مجموعة الضباط التابعة للجيش الروسي بقيادة الجنرال منتوفسكي(Mintofsky)، وكان الهدف منها التخلص من السيطرة الروسية والوقوف بوجه القيصر والحيلولة دون تنفيذ نواياه في استخدام الجيش البولندي كأداة لقمع الثورات القومية، لكن الروس استطاعوا القضاء على الثوار وعادت بولندا إلى روسيا(المهداوي،163،162،2018) .

أما في عهد القيصر الروسي الاسكندر الثاني(Alexnder II)(1855–1881م)، شهدت الفترة الممتدة وحتى نهاية القرن التاسع عشر تحوّلاً جذرياً في السياسة الروسية تجاه المقاطعات البلطيقية؛ إذ انتقلت من نهج الاعتراف بالامتيازات إلى سياسة التوحيد، ثم التروسة، وكان هذا التحوّل انعكاساً للقومية الروسية (https://www.apgads).

اتبع القيصر سياسة سلفه حيث استطاع القضاء على التمرد التي شهدتها بولونيا، وليتوانيا، وبيلاروسيا عام 1863م (المهداوي، 2018، 172) .

ثالثاً: ردود الفعل في دول البلطيق بعد ثورة عام 1905م:

خلال فترة حكم القيصر نيقولا الثاني (Nicholas II) (1894–1917م)، اندلعت الثورة الروسية عام 1905م، وحدوث اضراب العاملين في سكك الحديد الذي امتد من موسكو– كازان إلى البلطيق ومناطق اخرى مع حدوث اعمال عنف دامية واشتباكات مسلحة(المهداوي،191،190،2018) .

كما أشعلت الهزيمة الروسية في حرب روسيا–اليابان، وموجة الاضطرابات الاجتماعية عام 1905 فتيلَ انتفاضة بلطيقية واسعة، فقد شنّ الفلاحون الإستونيون واللاتفيون هجمات على مزارع البارونات الألمان، وطالب العمّال في ريغا ورفال بحقوق سياسية، وقد ردّ الروس بحملة قمع وحشية، وكشفت أحداث 1905م عن عمق التناقض في المنطقة البلطيقية: فالشعوب الأصلية كانت تناضل ضد طبقة البارونات الألمان من جهة، وضد الهيمنة الروسية من جهة أخرى، وكانت التوترات الاجتماعية والقومية المتراكمة طوال قرن تجد في هذه اللحظة قناةً للتعبير والانفجار(Kiaupa, 2000,70,90) .

شكّلت الحرب العالمية الأولى التحدي الأقسى للسيطرة الروسية على البلطيق؛ إذ اجتاحت القوات الألمانية كورلاند وأجزاء من ليتوانيا عام 1915م، وباتت الجبهة الشرقية ترتد نحو الشرق بشكل متسارع مع توالي الهزائم الروسية (Asche,2011,78,94) .

ففي ليتوانيا رفعت المحظورات التي كانت تثقل الدين واللغة والأراضي، حيث سمح بنشر المطبوعات بحروف لاتينية ولتوانية، وأفاد الشعب الليتواني من الثورة إذ اجتمعت المجالس الريفية في ليتوانيا في مجلس عام واحد وبعد ذلك نتج عنه مجلس للحكم واستلام السلطة، وكانت ردة فعل الروسي إزاء هذه التطورات سريعاً، ففي عام 1906م جعلت الحكومة الروسية التعليم باللغة الروسية في المدارس والاجتماعات، ومنعت التعليم الخاص باللغة الليتوانية، واعطت الشرطة سلطة تقرير قومية التلاميذ، وتوقفت الحياة السياسية في ليتوانيا، وبعد أن نادى الاشتراكيون بالجمهورية الليتوانية حيث ثار الفلاحون ضد البارونات البالطيين، واحرقوا بيوت النبلاء غير أن البارونات وبمساعدة الروس وجهوا ضدهم ما يسمى حملات القصاص وذلك من خلال اطلاق الرصاص على الفلاحين والقيام بإعمال الزج بالسجون، وإقامة المحاكم العسكرية، والشنق، لكن على الرغم من ذلك لم يتوقف الليتوانيون، ففي عام 1913م ظهرت نهضة قومية تمثلت بإنشاء المدارس الليتوانية، واعمال الدعاية التي قامت بها الجمعية الليتوانية، أما في استونيا

فكانت اقل نشاطا من ليتوانيا بسبب قلة سكانها ويسكنها فلاحون فكانت أقل نشاطاً وتقدماً، ولم تسهم بصورة نشطة في الثورة، لكن نهضة قومية أدت إلى حقد الفلاحين على البارونات البالطيين كما حدث في ليتوانيا، أما في استونيا فقد عززت ثورة عام 1905م الحركة القومية في سبيل الاستقلال(حاطوم،415،1982-419) .

وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى (1914-1918م)، وترافق ذلك مع حدوث الثورة البلشفية عام 1917م، ساهمت تلك الاحداث على حصول دول البلطيق على استقلالها فيما بعد(حاطوم،1982، 225)؛(عبد علي، د.ت،215،212) .

الخاتمة:

1- ان روسيا توجهت مبكراً تجاه دول بحر البلطيق وتحديداً عام 1492م .

2- واجهت معارضة شديدة وخصوصاً من السويد وبولندا، مّما أدى إلـــى الصدام واستخدام القوة من الطرفين .

3- دخلت السويد وبولندا في حروب نتج عنها حصول الروس على مناطق جديدة واسترجاع مناطق قديمة كانت تابعة لها .

4- حصول روسيا على موانئ على بحر البلطيق ساهمت في فك اختناقها .

5- استخدمت روسيا لغة القوة والحرب في الحصول على الامتيازات من تلك الدول .

6- إنّ المناطق التي كافح الروس لضمها هي التي قادت فيما بعد حركة الاستقلال في استونيا، ولاتفيا، وليتوانيا .

المصادر العربية:

(1) عبد علي، عمار هادي ،(د.ت)، التوسع السوفيتي في منطقة البلطيق (1939–1941م)، مجلة، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة .

(2) المقرحي، مـــيلاد،(1996م)، تـــاريخ أوربا الحديث 1453–1848م، ط1، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي .

(3) المهداوي، علي هـادي عباس، (2018م)، التطورات السياسية في روسيا القيصرية 862–1917م، د.ط، مؤسسة ثائر العصامي للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد،.

(4) م.م،(د.ت)، موجز تاريخ اتـــحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، ترجمة: طه صواف، د.ط، دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية، موسكو .

(5) الصياد، سامي صالح، القيصر ايفان الرابع (الرهيب) ودوره في نهضة روسيا الحديثة (1530–1584م)،(2014م)، كلية التربية للعلوم الانسانية، مـجلة، المجلد العاشر، العدد 39 .

(6) الشمري، مشعل مفرح ظاهر،(2006م) روسيا القيصرية فـي عـهد بطرس الاكبر 1725–1869م، اطروحة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة البصرة .

(7) برايس، فيليب، (1961م)، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة: جليل قطو، ط1، مطبعة النجوم، د. م .

(8) صالح، محمد محمد، (1981م)، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية1500–1789، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد .

(9) ابو علية، عبد الفتاح، وإسماعيل أحمد ياغي، (1981م)، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الرياض .

(10) شعيب، علي،(1992م)، بطرس الأكبر قيصر روسيا، دار الفكر اللبناني، بيروت .

(11) حاطوم، نور الدين، (1982م)، تاريخ الحركات القومية في أوربا، ج4، د.ط، دار الفكر، دمشق .

(12) مراد، خليل علي مراد واخرون،(1988م)، دراسات في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، د.ط، جامعة الموصل .

References:

(1) Abd Ali, Ammar Hadi, (n.d.), The Soviet Expansion in the Baltic Region (1939–1941), Journal of the College of Education for Women,University of Kufa .

(2) Al-Muqrahi, Milad, (1996), History of Modern Europe (1453–1848), 1st ed, Publications of Garyounis University, Benghazi .

(3) Al-Mahdawi, Ali Hadi Abbasm, (2018), Political Developments in Tsarist Russia (862–1917), Thair Al-Esami Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Baghdad .

(4) (n.d.). A Brief History of the Union of Soviet Socialist Republics (USSR), Translated by Taha Sawaf, Foreign Languages Publishing House, Moscow .

(5) Al-Sayyad, Sami Salih, (2014), Tsar Ivan IV (the Terrible) and His Role in the Rise of Modern Russia (1530–1584), Journal of the College of Education for Human Sciences, Vol. 10, No. 39 .

(6) Al-Shammari, Mishal Mufreh Dhaher, (2006), Tsarist Russia during the Reign of Peter the Great (1689–1725), Unpublished PhD Dissertation, College of Arts, University of Basra .

(7) Price, Philip, (1961), A Concise History of the Soviet Union, Translated by Jalil Qattu, 1st ed, Al-Nujoom Press .

(8) Salih, Mohammed Mohammed, (1981), History of Europe from the Renaissance to the French Revolution (1500–1789), Dar Al-Jahiz Printing and Publishing House, Baghdad .

(9) Abu Alia, Abdul Fattah, and Ismail Ahmad Yaghi, (1981), Modern and

Contemporary European History, Riyadh .

(10) Shuaib, Ali, (1992), Peter the Great: Tsar of Russia, Dar Al-Fikr Al-Lubnani, Beirut .

(11) Hattoum, Nour al-Din, (1982), History of National Movements in Europe, Volm, 4, Dar Al-Fikr, Damascus .

(12) Murad Khalil Ali, et al, (1988), Studies in Modern and Contemporary European History, University of Mosul .

المصادر الاجنبية:

(1) Andersons,E ,(1967), Latvijas vēsture Daugava 1914-1920 .

(2) Herrmann, Asche, M, & ,Niggemann, U, (2011), Rußland und das Baltikum: Historische Forschungen und, Bibliographie, Vandenhoeck & Ruprecht .

(3) Baltijas guberņu privilēģiju tiesiskās struktūras maiņa, gada tiesu reformas Baltijas guberņās ieviešanai,(n.d.), Latvijas Universitātes Akadēmiskais apgāds . https://www.apgads.lu.lv/izdevumi/individs-tiesibas-un-tiesas/22 .

(4) Berends,J,C,(2007), Die Nationalisierung von Grenzen, Zur Konstruktion nationaler Identität in sprachlich gemischten Grenzregionen, Marburg .

(5) Crummey, R. O,(1987) The formation of Muscovy 1304-1613, Longman .

(6) Davies, N, 1997, Europe: A history, Pimlico .

(7) Kiaupa, Z, (2000), Mäesalu, A., Pajur, A & ,.Straube, G, The history of the Baltic countries, Avita .

(8) Hellie,R,(1971), Enserfment and military change in Muscovy,University of Chicago Press .